Annexe I

Ce document contient les extraits du texte arabe que nous avons traduit dans le cadre de notre quatrième chapitre.

Référence : BADAWĪ ʿAbd al-Raḥmān, *Al-Uṣūl al-yūnānīya lil-naẓarīyāt al-siyāsīya fī al-islām*, Le Caire, Dār al-Kutub al-miṣrī, 1954, p. 145-245.

Des catégories de rois (éd. Badawī, p. 149-150)

يا إسكندر ! ومن السخاء والكرم تركُ التجنى وتركُ البحث عن باطن العيوب والإمساكُ عن ذكر المواهب، كما أن من[1] تمام الفضائل الصفحَ عن التوبيخ[2] وإكرام الكريم والبِشْرَ فى اللقاء وردَّ التحية والتغافل عن خطأ الجاهل.

يا إسكندر ! قد بينتُ لك ما لم أبينه لهم. وقد تقرر من هذا فى نفسك ماأرجو أن يكون بامتثالك له وفورُ عقلك. والآن أقول لك حكمة مختصرة < تُغْنِي > ولو لم أقل لك غيرها[3] :

يا إسكندر ! العقل رأس التدبير وهو صلاح[4] النفس ومرآة العيوب وبه تذل المكروهات وتعز المحبوبات ؛ وهو رأس[5] الممدوحات وأصل المفاخر.

يا إسكندر ! أول آلة العقل الميلُ [١٥] إلى الذِّكْر وإنه لمن مال إليه بالإفراط سبب مكروه مذموم ؛ فالذكر هو المطلوب. والرياسة ليست تراد لنفسها وإنما تراد للذكر الجميل[6]. فأول منازل العقل الذكر، والرياسة تنتج حُبَّ الذِّكْر. فان طُلِبَتْ على غير وجهها أنتجت الحسد، والحسد ينتج الكذب، والكذب هو أصل المذمومات. ونتيجة الكذب النميمة، والنميمة تنتج البغضاء، والبغضاء تنتج الجور، والجور ينتج التصادم، والتصادم ينتج الحقد، والحقد ينتج المنازعة، والمنازعة تنتج العداوة، والعداوة تنتج المحاربة، والمحاربة تنتج نقض البنية وتنفى العمارة ؛ وذلك إلى مخالفة الطبيعة، ومخالفة الطبيعة فساد الأمر كله.

وإذا نازعت الرياسة[7] العقل من جهتها ينتج منها الصدق، والصدق ينتج الورع، والصدق أصل الممدوحات وهو ضد الكذب. ونتيجة التُّقَى العدل، ونتيجة العدل الألفة، ونتيجة الألفة الكرم، والكرم ينتج المؤانسة، والمؤانسة تنتج

---

(١) من : ناقصة فى ص. (٢) التوبيخ : كذا فى س، ى. وفى ص : اللوم. وناقصة فى م.
(٣) ص : عنها. (٤) س : سلاح. (٥) ص : أس.
(٦) الجميل : ناقصة فى س، ى. (٧) فى المخطوطات : نازعت حب الرياسة ...

الصدق ، والصداقة[١] تنتج البذل والمحاماة . وفى ذلك ما أقام البنية[٢] وعمر الدنيا ، وذلك موافق للطبيعة . — فقد ظهر أن طلب الرياسة من وجهها ممدوح باق .

يا إسكندر ! تجنب مساعدة الشهوات فانها تُهلك ؛ لأن الشهوة تنتج الميل إلى تبليغ النفس البهيمية نفسها من غير روية فيُسرّ[٣] الجسمُ الفانى ويهلك العقلُ الباقى . فمساعدة[٤] الشهوة تنتج السمن ، وحب السمن يورث البخل ، والبخل يورث حب الغنى ، وحب الغنى [٥ ب] يورث النذالة ، والنذالة تورث الطمع ، والطمع يورث الخيانة ، والخيانة تورث السرقة ، والسرقة تهتك المروءة ، ومنها تكون المحاربة التى تسوق[٥] إلى نقص الدين ونقض الألفة وخراب الدنيا . وذلك خلاف الطبيعة .

والله سبحانه وتعالى أعلم[٦] .

---

(١) ص : المحاباة . (٢) س : السنة . وكذا فى ى .

(٣) ص : فيسود الجسم الفانى ويحزن القلب الباقى .

(٤) من هنا حتى آخر المقالة ناقص فى ى . (٥) ص : تؤول .

(٦) غير موجودة فى ن ، ق الخ .

De la condition du roi, de son apparence et sur sa manière d'agir personnelle, dans tous ses états et situations (éd. Badawī, p. 151-152)

المقالة الثانيـــة

فى حال الملك وهيئته[(١)] وكيف يجب أن يكون مأخذه[(٢)] فى خاصة نفسه

أول ما يجب على الملك فى خاصة نفســه أن يختص باسم علم مشهور[(٣)] يعــرب به عنــه ويُخاطَب به ليشرف[(٤)] به على من سواه ، وذلك أنه عَلَمٌ يشار إليــه وغرض يُقصَد نحوه .

يا إسكندر ! أى ملك أخدَمَ مُلكَه دينــه فهو مستحقٌّ الرياســة . وأى ملك جعل دينــه خادماً لملــكه فهو مســتخِفٌّ[(٥)] بناموسه . ومن استخف بالناموس قتله الناموس . وأنا أقول — وطالما قاله الفيلسوفون[(٦)] الإلهيون المطهرون الذين حذونا حذوهم رضوان الله عليهم : إن أول ما يجب على الملك أن يحذر نفسه به رعاية جميع[(٧)] حدود الله كلها من غير تضييع لشىء من أوامرها ونواهيها ؛ وأن يظهر للعامة التقشف مع اعتقاد لذلك ، لأنه متى أظهر خلاف ما يضمر لم تجمل جبلته[(٨)] ، إذ لا يخفى على الأنام ؛ وأن لا يرضى بشىء من ترك واجباتها ، ولو جر ذلك المال الجسيم ، فان هذا يرضى بارئه ويتحبب < به > إلى عباده .

ومما يقرّن بهذا[(٩)] تعظيمُ مَنْ تدور أعباء الملة عليهم كالقضاة الصالحين العاملين والفقهاء المتدينين والأئمة . ثم يكون عظيم الهمة من غير جبروت ، واسع الفكرة ، جيد البحث ، متطلعاً إلى العواقب ، رؤوفاً رحيما ، إذا غضب لم ينفذ غضبه [١٦]

---

(١) ن : وهيبته. (٢) ص ، م : عن . وما أثبتناه فى س ، ى الخ . ن : إنما يجب على الملك .
(٣) به : ناقصة فى س . ن : مشهور يعرف به عنه ويخاطب للشرف به على ما سواه .
(٤) س ، م : ليشف . وفى هامش س تفسيرها : أى يظهر .
(٥) الرياسة ... مستخف : نقلناها عن ن ، وساقطة فى عدة نسخ . وفى ق وردت محرفة .
(٦) س : وأنا أقول ما قاله المتفلسفون ... — ن : قاله المفلسفون ... إن أقل ما يجب على الملك ...
(٧) س : رعاية جميع حدود ديانته كلها من غير ... م : تضييع شىء لأوامرها ونواهيها .
(٨) كذا فى س ؛ وفى هامشها : لم تحمد جبلته . وفى م ، ص كما أثبتنا .
(٩) ص : بها . م : تعظيمه .

سريعاً من غير روية ، وإذا تحركت الشهوة فيه ردها بعقله وملّك نفسه ، وإذا وافق الصواب أنفذه غير لجوج[١] ولا وقح ولا متهاون . وكذلك يتزين لهم بزينة جميلة وكسوة شاذة[٢] تروق العيون وتبهج النفوس ، يتميز بها عمن سواه .

ويجب أيضاً أن يكون عذب اللغة فصيح اللسان جهير الصوت ، وذلك أن جهارة الصوت سلاح[٣] له فى وقت الزجر . ويقلل[٤] الكلام بالجهارة إلا عند الضرورة وفى الندرة لئلا يكثر على الأسماع فتسكن إليه النفوس وتألف حديثه وتقل هيبته . والأصلح له ألّا[٥] يكلم أحداً إلا جواباً . وكذلك يقلّل من مباشرة[٦] الناس ويخفف من مجالستهم لاسيما العامة ؛ فما أحسن[٧] مذاهب الهند فى تدبير ملوكهم حيث قالوا : إن ظهور الملك للعامة يُجرّئ عليه ويُهوّن أمره ! ويجب أن لايظهر لهم إلا على البُعد وفى جلال[٨] المواكب وجُمْلَة السلاح . فاذا كان فى فصل من فصولهم حفل مرةً واحدةً فى العام فيظهر للناس كافّةً ويقوم بين يديه مِنْ فصحائهم[٩] ووزرائهم مَنْ يخطب خطبة يشكر الله فيها ويحمده على طاعتهم له ، ويخاطبهم بالرضى عليهم وحسن الرأى فيهم ، ويرغّبهم فى الطاعة ويحذّرهم المعصية . ثم يتصفح رقاعهم ويقضى حوائجهم ويكثر منحهم ويعفو عن مذنبهم ، ويريهم الإسعاف لكثيرهم وقليلهم ؛ — فانما ذلك مرةً واحدة فى العام ؛ ويخفف ما يتحايل[١٠] لهم فيه ويتجافى عنه[١١] . فيجلّ موقعُ هذا من نفوسهم ويعظم سرورهم وتتشرب ذلك قلوبُهم ، ويتحدثون بذلك عند أهليهم وبنيهم ، فينشأ [٦ ب] الطفل منهم على طاعته ومحبته ، وتسر

---

(١) ص : من غير نجوح ولا تهاون . م : من غير لجوج ولا وقح ولا تهاون . — وما أثبتناه فى س .

(٢) كذا فى س ، م . وفى ص : سارة . (٣) ص ، م : صلاح .

(٤) ص ، م : يقال . والتصحيح عن س . (٥) والأصلح ... جوابا : ناقصة فى س .

(٦) ص : مباشرة . (٧) س : بأن . (٨) س : خلال .

(٩) ص : من فصحاء وزرائه ؛ وكذا فى م . (١٠) ص : يتحامل ، وكذا فى ى .

(١١) ص : يتجافى لهم عنه . ى : لهم فيه عليه ويتجافى عنه فيجل ...

Chapitre abrégé sur la physiognomonie (éd. Badawī, p. 191)

وممن مهر فيه ونسب إلى صحته من الأوائل صاحب الفراسة أفليمون ، وكان يستدل بتركيب الإنسان على أخلاق نفسه . ولقد جرت له حكاية ظريفة غريبة ، أثبتها لتقف عليها . وذلك أن تلامذة الفاضل أبقراط [٢٤ ب] صوروا صورة أبقراط فى جلد ونهضوا بها إلى أفليمون وقالوا له : تأمَّلْ هذه واحكم لنا على أخلاقها . فنظر إلى تركيبه وقرن أعضاء بعضها ببعض ثم قال : « هذا رجل خَدَّاعٌ فاسق يحب الزنا » . فأرادوا قتله وقالوا : « أيها الجاهل ! هذه صورة الفاضل أبقراط » . فقال لهم : « سألتمونى عن علمى فأخبرتكم » . فلما وردوا على أبقراط خبروه بما صنعوا وبما قال لهم . فقال لهم أبقراط : « صدق أفليمون[1] ! » . والله ما أخطأ فى ما تفرسه حرفاً . هذه صفتى وهذه خلقى . ولكن لما رأيت هذه الأشياء قبيحة ، ملكت نفسى عنها وغَلَبَ عقلى على شهوتى . وأى حكيم لا يُغَلِّب عقله على شهوته ! » . وهذا من الزيادة فى فضل أبقراط ، لأن الفلسفة إنما هى مِلْك الشهوات .

باب مختصر فى علم الفراسة[2]

ويا إسكندر ! أنا أثبت لك من علم الفراسة رسوماً مختصرة وعقداً كافية تغنيك — بحُسْنِ طبعك وكرم جوهرك — عن كثير من علم الفراسة إن شاء الله .

---

(١) فى بعض المخطوطات بالقاف ، وصوابه بالفاء كما فى ق = Polemon . — راجع عن هذا الموضع R. Foerster فى كتاب Scriptores Physiognominici ج ١ ص VIII . ولفليمون كتاب فى الفراسة نشره ج . هوفمن فى مجموعة فورستر Foersters Physiognomici Graeci et Latini ج ١ فى ليبتسج سنة ١٨٩٣ ص ٩٨ وما يليها مع ترجمة لاتينية . راجع عن فليمون : « تاريخ الأدب اليونانى » لفلهم فون كرست ص ٦٩٢ — ص ٦٩٣ . منشن سنة ١٩٢٤ . — وقد نقل هذه الحكاية القفطى (ص ٦٥) فى ترجمة بقراط ؛ فراجعها .

(٢) هذا الفصل يرد فى ترجمة فيلبس الطرابلسى اللاتينية والترجمات التى قامت عليها فصلا أخيراً يختم به الكتاب . وقد درسه ر . فيرستر R. Foerster دراسة وافية فى كتابه بعنوان : « المؤلفون فى علم الفراسة » (تويبنر سنة ١٨٩٣) ج ١ ص CLXXVII - CLXXXI ، وج ٢ ص ١٨٣ — ص ٢٢٢ . R. Foerster : Scriptores Physiognominici . =

Sur la forme de la justice (éd. Badawī, p. 199-202)

المقالة الثالثة

فى صورة العدل

يا إسكندر! العدل صفة[1] كريمة من صفات البارى جل اسمه وتعالى ذكره. والملك — < وهو > مَنْ استرعاه الله أمرَ عباده، وقلّده أمورهم وتدبيرهم، وأطلق يده على أبشارهم وأموالهم ودمائهم وجميع أحوالهم — كالإله، فهو متشبه بالإله. وكذلك يجب أن يتشبه به فى جميع أحواله كلها، والله حكيم رحيم. وأسماؤه وصفاته جل جلاله أكثر من أن تحصى.

فالحكمة، يا إسكندر! ضد الجور، وعكس الجور العدل، وبالعدل قامت السموات على الأرض، وبالعدل بُعِثَ الأنبياء المُطَهَّرون، والعدل صورة العقل الذى وصفه الله — عز وجل — فى أحبِّ خلقه إليه، وبالعدل عَمَرَتْ الأرضُ وقامت الممالك وانطاع العباد؛ وبه أُنِس المستوحش وقَرُب المتباعد وسَلِمَتْ النفوسُ من كل دَغَلٍ، وسَلِم ملوكها من كل فساد. ولذلك قالت الهند: «عَدْل السلطان أنفع للرعية من خِصْب الزمان». ومن كلام حكمائهم أيضاً: «سلطان عَدُلٌ خيرٌ من وطنٍ وإبل». ووُجد فى بعض الأحجار منقوشاً بالسريانية[2]: «إن الملك والعدل لاغنى بأحدهما عن الآخر». والأشياء كلها من عنصر هو سببها، وعلة هو الفعل الموجب كونها، وفاعل هو الحكيم القادر. [١٤٧] فقبول العنصر التأثير من الفعل هو الانفعال. فالسبب الذى هو العنصر هو الإمكان، والانفعال هو الموجود وهو المُظْهِر حكمَةَ الحكيم الصانع. وقبول العنصر المتأثر من الفعل بما له أن يقبل هو العدل.

فقد بان أن العدل قسمان: ظاهر وباطن. فالظاهر ما ظهر من أفعال الصانع المتولى — على شرائط هى السواء فى الوزن والكيل؛ إذ العدل مشتق الاسم منها. والباطن هو اعتقاد الحكيم فى الصانع إتقان مصنوعاته وتحقيق مقولاته. فهذا قد

---

(١) ن: صنعة كريمة من البارى. والملك من استرعاه ... (٢) لاحظ قوله "السريانية"؛ فقد تكون فى هذا شبهة دليل على أن الكتاب ألف فى بيئة تعرف السريانية.

صح لك وقد ترتب أن الملك متشبه بحكمة البارى ، وكذلك يجب أن تثبت[١] أفعاله فيمن يليه من الخاصة والعامة مايكون عدلا ومبقياً[٢] لحكمة البارى ومشيئته فيهم ، وأن يعتقد ذلك فباعتقاده يتم له الناموس فى كمال سلطانه ، وبما يظهر من أفعاله يستميل قلوب رعيته . والخاصة والعامة طبقات مختلفة ، وانبثاث العدل فيهم يختلف . والعدل اسمٌ معناه الإنصاف ورفع الجور وصحة الوزن وسوية الكيل ، وهو اسم جامع لخلال المروءة وخصال الكرم وأفعال[٣] الجميل .

والعدل ينقسم أقساماً[٤] : فعَدْلٌ يجب به الحُكْم عند الحكام ، وعدل يلزم الإنسان فى محاسبة نفسه فيما بينه وبين خالقه . ثم أقِمْ العدل فيما بينك وبين الناس على قدر الحالات ومنازل العلاقات .

وأنا مُمَثِّلٌ لك صورةً[٥] حكمية فلسفية ناموسية إلهية ثمانية[٦] تنبئك عما فى العالم بأسره : تحتوى على سياسة العالم وتشتمل على طبقاتهم وكيفية وصول الواجب من العدل إلى كل طبقة . وقَسَّمْتُها قسمةً دَوْرية فلكية : كل قسم منها طبقة . ابدأْ بأى قسم أردت ، يتوالَ لك ما بعده كتوالى [١٢٨] دَوْرِ الفلك . ولما كانت التدابير كلها ، أسفلها وأعلاها ، وقفاً على العالَم رأيت أن أبدأ فى هذه النصبة بالعالم .

وهذه الصورة ، يا إسكندر ، زبدة هذا الكتاب وخامدة[٧] مطلبك . ولولم أبعث إليك فيما رغبته غيرها ، لكانت كافية لك . فتدبرها بنظر صادق ، يسلَسْ لك قِيادَ أمرك ومُرادك ، ويتم لك جميعُ محابِّك[٨] إن شاء الله تعالى .

---

(١) س : فكذلك يجب أن يثبت فى أفعاله ... ص : تنتسب أفعاله ... (٢) كذا : فى س. وفى ص : معنيا . وفى م : متقنا . (٣) ص : انفعال . (٤) ص : انقساما .

(٥) س : صورة كريمة (ولهذا رسم صورة على هيئة دائرة) . ى : وأنا أمثل لك .

(٦) ثمانية : ناقصة فى ص . — وقد ذكر هذا الموضع ابن خلدون فى « المقدمة » (ص ٢٩ طبع مصر . عبد الرحمن محمد) فقال : « وقد أشار فى ذلك الكتاب إلى هذه الكلمات التى نقلناها عن الموبذان وأنوشروان وجعلها فى الدائرة الغريبة التى أعظم القول فيها وهو قوله : العالم بستان سياجه الدولة ... الخ الخ » .

(٧) س : وفائدة . (٨) س : وكل ماذكرته فى هذا الباب مطولا مفسراً فهو فى هذا الشكل مجمل مختصر — ثم يأتى بالشكل الدائرى الذى أوردناه هنا برقم ١ . ولم يرسم شكل فى ن .

(شكل رقم ١)

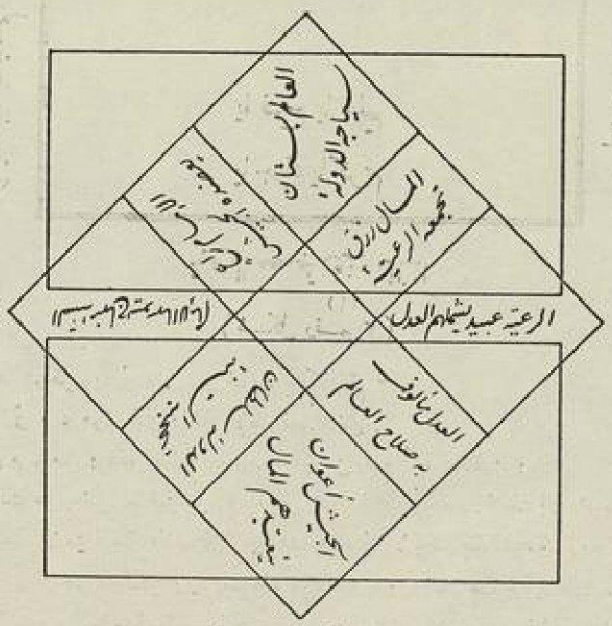

(شكل رقم ٢)

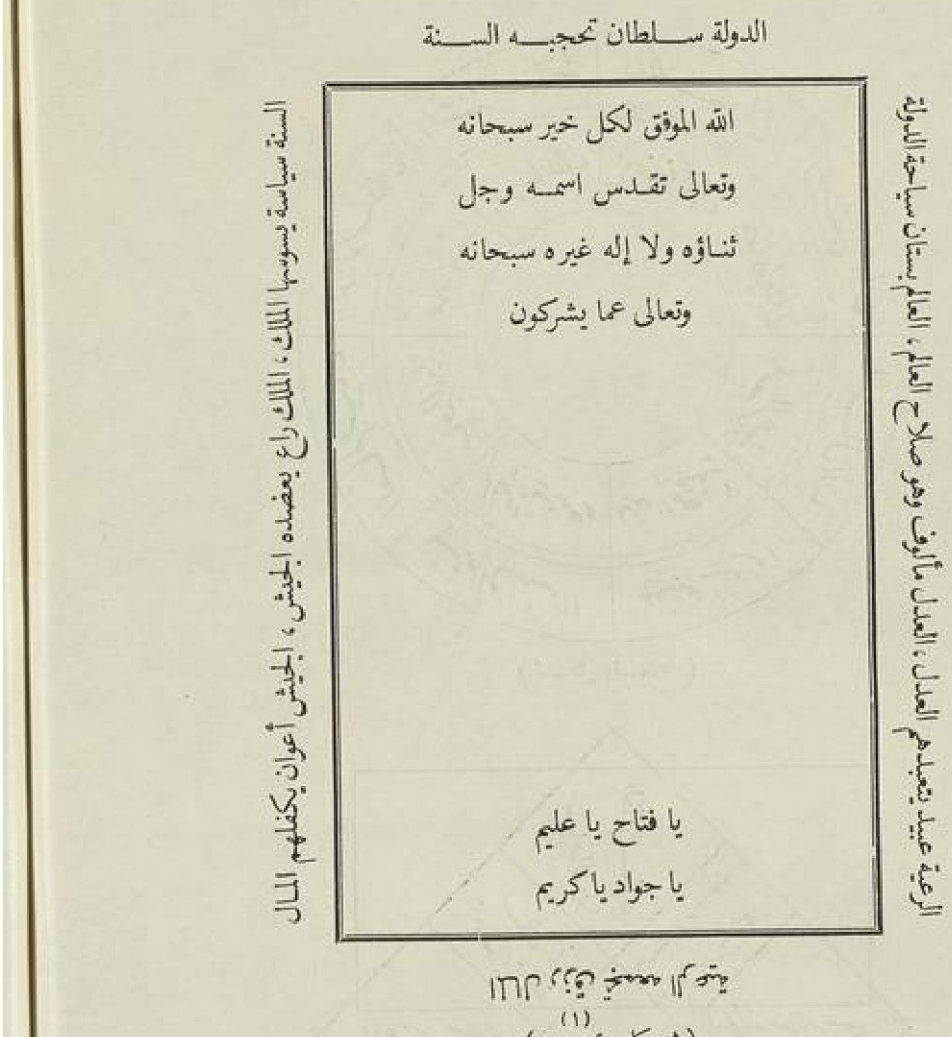

(شكل رقم ٣) [1]

(١) هذا الشكل ورد فى م . أما فى فيورد الشكل رقم ٢ .
وفى ق كما فى م ، دون ما فى داخل الإطار فهو أبيض .
وردت فى م ، ص : هذه الفائدة ، وواضح أنها من وضع أحد المعلقين :
فائدة : نقلت عن بعض العارفين عن الإمام على رضى الله عنه أنه قال : لاملك إلا بالرجال ، ولا رجال إلا بالمال ، ولامال إلا من الرعية ، ولا رعية إلا بالعدل ، ولاعدل إلا بالسياسة الشرعية . وبهذا يدوم الملك .
ولم يرد رسم فى ص ، ولكن ورد بعد هذه « الفائدة » : « وهذه صورة ارتباطها بعضها ببعض : « الدولة سلطان تحجبه السنة ، السنة سياسة يسوسها الملك ، الملك راع (ص . ذراع) يعضده الجيش ، الجيش أعوان يكفلهم المال ، المال رزق تجمعه الرعية ، الرعية عبيد يتعبدهم العدل ، العدل مألوف وهو صلاح العالم ، العالم بستان سياجه الدولة » .

Des ministres, de leur nombre, de leurs méthodes de gouvernance, de la qualité de leurs conseils et de leur intelligence (éd. Badawī, p. 203-217)

المقالة الرابعة

فى الوزراء وعددهم ووجه سياستهم وتجربة آرائهم وصورة العقل المركب فيهم

يا إسكندر! تفهم هذه المقالة، واعلم أن قدرها عظيم. فوحقّك لقد نصصتَ[(١)] فيها جُملاً من علوم الفلسفة وماهية العقل وتركيبه، وفضحتُ فيها أسراراً إلهية لم يكن بدٌّ من إيرادها لإيقافك على حقيقة العقل، وكيف وَضَعه اللهُ فى عباده، وكيف يتوصل إلى معرفة ذلك منهم. فهو عليك آكد ما تحتاج إليه، فكن به موفقاً إن شاء الله.

واعلم[(٢)] يا إسكندر أن أول شىء اخترعه[(٣)] البارى جل جلاله جوهرٌ[٢٨ ا] بسيط روحانى فى غاية التمام والكمال والفضل، فيه صور جميع الأشياء، فسمى[(٤)] العقل. وأن من ذلك الجوهر جوهراً آخر دونه فى الرتبة سمى النفس الكلية. وأنه اندفع

---

(١) كذا فى ص. وفى س: قصصت. وفى م: تصلقت (!)

(٢) هذا الفصل فى غاية الأهمية لأنه يدلنا كيف دخل مذهب أفلوطين والأفلاطونية المحدثة العالم الإسلامى قبل ترجمة كتاب "أثولوجيا" بوقت غير قصير.

(٣) م: اختاره. ى: أخذه الله عز وجل جوهراً بسيطا روحانيا فى غاية الكمال والتمام.

(٤) س: وسماه. ى: «والتمام، صور فيه جميع الأشياء وسماه العقل، وأن من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر دونه فى الرتبة يسمى النفس الكلية. ثم ركبها — بلطفه وتدبيره — فى الجسم المرئى المحسوس فجعل الجسم مدينة والعقل ملكها والنفس وزيره الخادم لهذه المدينة، المدبر لجميع أجزائه، وأسكن العقل فى الدماغ. فإذا عرض فى النفس شىء فسد العقل والجسم؛ وإذا عرض للعقل شىء وسلمت النفس بقى الجسم سليما، إلا أن يأذن الله تعالى بفساد الكل عند نفاد العمر المقدر. فتفهم يا اسكندر هذا الكلام وتدبره واقتد بفعل الله تعالى فى جميع أمورك. وليكن وزيرك واحدا تشاوره فى جميع تدابيرك. ومل من آرائه إلى ما يخالف هواك فإنه أصح الرأى. ولهذا قال هرمس، لما قيل له: لم كان رأى المستشار أفضل من رأى المستشير؟ قال: لأن رأى المستشار معرى من الهوى ...».

ثم يتفق بعد ذلك مع ما يرد فى نصنا. والخلافات فى هذا الموضع مهمة وفى حاجة إلى تدبر. وفى ق: التمام والكمال، وفصل فيه صور جميع الأشياء، يسمى العقل وان من ذلك ...

من تلك النفس جوهر آخر يسمى الهيولى قَبِـلَ المقدار الذى هو الطـول والعرض والعمق فصار بذلك جسما مطلقاً . ثم إن الجسم قبِل الشكل الكرى الذى هو أفضل الأشكال وأصلحها نُصْبَةً وأدومها بقاءً فكان من ذلك الأفلاك والكواكب : ماصفا منها ولطف ، الأول فالأول من لدن الفلك المحيط إلى منتهى فلك القمر ، وهى تسع أُكَر بعضها فى جوف بعض . فأولها وأعلاها الفلك المحيط ، ثم دونه فلك الكواكب الثابتة ، ثم دونه فلك زُحَل ، ثم دونه فلك المشترى ، ثم دونه فلك المِرّيخ ، ثم دونه فلك الشمس ، ثم دونه فلك الزُّهَرة ، ثم دونه فلك عُطارِد ، ثم دونه فلك القمر ، ثم دونه فلك الأركان التى هى : النار والهـواء والماء والأرض . فالأرض فى وسـط المراكز كلها . وهى أغلظ الأجسام جوهراً وأكثفها جرماً . ولما ترتبت هـذه الأُكَر بعضها فى جوف بعض ، كما اقتضت حكمة البارى جـل جلاله فى لطف نظامهـا وحسن ترتيبها ، ودارت الأفلاك بأجرامها وكواكبها على الأركان الأربعة المتقـدمة الذكر ، وتعاقب عليها الليل والنهار ، والصيف والشتاء والحر والبرد ، واختلط بعضها ببعض ، وامتزج اللطيف منها بالكثيف والثقيـل بالخفيف والحار بالبـارد والرطب باليابس — تركب منها على طول الزمان أنواع التراكيب التى هى المعادن والنبات والحيوان . فالمعدن (١) هو كل ما انعقد [٢٩ ا] فى باطن الأرض وقعور البحار وأجواف الجبال من البخارات المحتقنة (٢) والدخانات المتصاعدة والرطوبات المنعقدة (٣) فى المغارات (٤) والأهوية ، والترابية عليها أغلبُ ، كالذهب والفضة والحديد والنحاس والقزدير والجواهر واليواقيت والمرجان والتوتيا والزجاج وغير ذلك مما هو معلوم وموجود .

وأما الحيوان فكل جسم يتحرك ويحس وينتقل من مكان إلى مكان بجسمه ، والهوائيةُ عليـه أَغْلَبُ . فالنبات أشرف تركيباً من المعادن ، والحيوان أشرف تركيباً

---

(١) هو : ناقصة فى ص . وفى م : فالمعادن هو .

(٢) كذا فى م . وفى ص ، س : المتحقنة .

(٣) ص : المتحقنة . (٤) س : المغازات والهواء والترابية ...

من النبات ، والإنسان أشرف تركيباً من جميع الحيوان ، والنارية عليه أغلب . وقد اجتمع فى تركيب الإنسان جميعُ معانى الموجودات من البسائط والمركبات ، لأن الإنسان مركب من جسد غليظ جسمانى ومن نَفْسٍ بسيطة جوهرية وروحانية[(١)] .

فينبغى لك يا إسكندر ، إن كنت عازماً على معرفة حقائق الموجودات ، أن تبتدئ أولا بمعرفة نفسك[(٢)] إذ هى أقرب الأشياء إليك ، ثم بعد ذلك بمعرفة سائر الأشياء . واعلم أن النفس الكلية هى قوة روحانية فاضت[(٣)] من البارى جل جلاله. واعلم أن لها قوتين ساريتين فى جميع الأجساد كضوء الشمس فى جميع أجزاء الهواء : فاحدى قوتيها عَلامة ، والثانية فعَّالة . وأيدها الله تعالى بسبع قوى : وهى القوة الجاذبة ، والقوة الماسكة ، والقوة الهاضمة ، والقوة الدافعة ، والغاذية ، والمصوِّرة ، والناميـة . فأما فعل هذه القوى فى تركيب جسد الإنسان عند حصول النطفة فى الرحم وتدبيرها لها تسعة أشهر فانها إذا تمت هذه المدة التى قدرها الله تعالى نُقِلَتْ قوة النفس الحيوانية الجسمانية [٢٩ ب] باذن الله تعالى من ذلك المكان إلى فسحة هذه الدار ، واستأنفت تدبيراً آخر إلى تمام أربع سنين . ثم تَرِدُ[(٤)] القوة الناطقة المعبرة لا سيما المحسوسات ، ثم تستأنف[(٥)] به تدبيراً آخر إلى تمام خمس عشرة سنة . ثم ترد القوة العاقلة المميزة لمعانى المحسوسات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام ثلاثين سنة . ثم ترد القوة الحكمية المستبصرة لمعانى المعقولات وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام أربعين سنة . ثم ترد القوة الملكية[(٦)] المؤيدة وتستأنف به تدبيراً آخر إلى تمام خمسين سنة ، ثم ترد القوة الناموسية الممهدة للمعاد[(٧)] وتستأنف به تدبيراً آخر إلى آخر العمر. فان تكن النفس قد تمت واستكملت قبل مفارقة الجسد نزلت قوة النفس الكلية

---

(١) وروحانية : ناقصة فى م . (٢) نفسك ... بمعرفة سائر : ناقصة فى ص .

(٣) هنا تظهر نظرية «الفيض» الأفلوطينية لأول مرة فى العالم الإسلامى .

(٤) م : النطفة . (٥) تستأنف : ناقصة فى م . (٦) الملكية : ناقصة فى م .

(٧) كذا فى س . وفى م : للمباد ؛ وفى ص : للمدار .

ورقيت بها إلى الملأ الأعلى واستأنفت به تدبيراً آخر حتى تصل إلى فلك العقل مرضياً عنها .

فلما خلق الله الإنسان وجعله أشرف الحيوان وأمره ونهاه ، وعاقبه وجازاه جعل جسمه كمدينة ، وعقله ملكها ؛ وجعل له وزراء خمسة يدبرونها[1] ويوصلونه إلى جميع ما يحتاج إليه وينتفع به ويحذرونه من كل ما يُستضرّ به ، ولا قِوامَ له ولا تمام إلا بهم . وجعل لكل واحد منهم زياً ينفرد به عن صاحبه ، ومعنى خُصَّ به لايشاركه فيه غيره ، وأقام ، باجتماع رأيهم عنده ، تمامَ أحواله وقِوامَ أفعاله .

فالوزراء الخمسة هي الحواس الخمس التي هي العين والأذن واللسان والأنف واليد. فحاسة العين رؤية المُبصرات[2] وهي عشرة أنواع : النور والظلمة واللون والجسم والشكل والموضع والبعد والقرب والحركة والسكون . وحاسة [١٣٠] الأذن السمع للأصوات وهي نوعان : حيوانية وغير حيوانية . فالحيوانية نوعان : منطقية ككلام الإنسان المفهوم ، وغير المنطقية كصهيل الفرس ونهيق الحمار وتغريد الطير ، وما أشبه ذلك . وغير الحيوانية كصرير الخشب وقرع الحجارة وغير ذلك مما لاحياة له كالرعد والطبل والزمر . واعلم أن كل صوت فله نغمة وصنعة وهيئة روحانية ، كل صوت على حدته . فاذا تحرك الهواء الحامل له تحركت معه تلك الروحانية الفاصلة له لئلا يختلط بعضها ببعض إلى أن يصل إلى أقصى مدى غاياتها عند الحاسة السامعة فتؤديها إلى القوة المتخيلة .

والحِسّ الذي للِّسان هو تفريق المذوق والمطعوم[3] ، وهي تسعة أنواع : الحلاوة ، والمرارة ، والملوحة ، والدسومة ، والحموضة ، والحرافة ، والتفاهة ، والعذوبة ، والعفوصة[4] .

---

(١) م : يدبرونه ، وكذا في س . (٢) ص : رؤية الأبصار . (٣) ص : الذوق والطعم .

(٤) كذا في ص . وفي م : والقراسة (!) والعذوبة والقبوضة . وفي س : والعفوصة والعذوبة والقبوضة .

والحس الذى للأنف تفريق الشم ، وهو نوعان : الطيّب والمُنتِن .

و < أما > الحس الذى لليد فالقوة اللامسة (١) ، ومجراها فى الحرارة والبرودة والخشونة والملاســة . وهى قوة مستبطنة (٢) بين الجلدين اللذين أحدهما ظاهر البدن والآخر مما يلى اللحم .

فاذا حصّل (٣) كلُّ واحد من هــذه الحواس ما أحدثه الله (٤) لهذا المَلِك انبثّتْ من مقــدَّم الرأس عَصَــبات لطيفة كنسج العنكبوت — وهى كالحُجّاب للمَلِك — فبلغت ما عند كل حاســة ، ووصل ذلك فى تلك العصبات إلى مقدم الدماغ ؛ فتجتمع آثار المحسوسات كلها عند القوة المتخيلة ، ثم تدفعها إلى القوة المفكرة التى مسكنها الدماغ (٥) لتنظر فيها وتتراءى فى معانيها وتتعرف مضارها ومنافعها فتفعل بقدر ما يُتأدى إليها من ذلك .

فقِوام الجسد (٦) بهــذه الحواس الخمسة المذكورة . وكل شىء يا إسكندر فكماله بخمسة أشياء : فالكواكب التى عليها مدار الأفلاك خمسة [٣٠ب] ، وأنواع الحيوان (٧) خمسة : الإنسان ، والطير ، والنَّعم ، والدوابُّ ذوات الأربع ، والحشرات التى تنساب على بطنها . والخمسة التى لايتم النبات إلا باجتماعها فيه هى : الأصل ، والعروق ، والفروع ، والورق ، والطعم . والخمسة المنسوبة إلى الموسيقية التى لولاها ما تكيفت نغمة مطربة . والخمسة أيام المُشَرَّفة من جملة أيام السنة فى آخر آذار (٨) .

فتفهم يا إسكندر هذا الكلام وتدبره . واقتدِ بفعل الله فى جميع أمورك كلها . وليكن (٩) وزرائك خمسة . ولتكن مشاورتك فى مهــم أمورك لكل واحد منهم على

---

(١) م : الملامسة . (٢) ص : مستنبطة . (٣) ص : وصل . (٤) س : أخدمه .

(٥) فتجتمع ... الدماغ : ناقص فى ص . (٦) كذا فى س . وفى ص : ناقص . وفى م : الحواس .

(٧) ص : الإنسان — وهو تحريف . (٨) إلى هنا آخر النقص فى ى .

(٩) ى : وليكن وزيرك واحداً تشاوره فى جميع تدابيرك ، ومل من آرائه إلى ما يخالف هواك فإنه أصح الرأى ولهذا قال هرمس ...

انفراده فهو أنفذ لأمرك وأكتم لسرك . ولا تُبْدِ لهم ما فى نفسك ، ولا تُعْلِمن أحداً منهم عزيمةَ الرأى عند من كان . ولا تظهر لهم أنك مفتقر إلى ما عندهم فيستخفوا بك ؛ وامزج عند نفسك آراءهم كما يفعل الدماغ بما تأتى به الحواس . ثم استخر الله تعالى فيما تنفذه ، ومِلْ من آرائهم إلى ما يخالف هواك . ولهذا قال هرمس لما قيل له : لم كان رأى المستشار[1] أفضل من رأى المستشير ؟ فقال : « لأن رأى المستشار مُعرًّى من الهوى » . وهذا كلام صحيح . وإذا جمعتهم على رأى لتُدبِّره بحضرتك فلا تدخل رأياً معهم واسمع مايتراضون عليه . فان أعجلوا الجواب واتفقوا فناقضهم فيه وأَرِهِمُ الخلافَ ليطول فكرهم واستنباطهم فلا خير فى الرأى القصير[2] . وإذا ظهر لك صحةُ الرأى فى كلامهم أوكلامِ أحد منهم فسكِّتهم ولا تُرِهِمْ حيث وقع اختيارك حتى تنفذه ، فالكتمان أنجح لكل مطلوب . ومع التجربة وطول الخبرة يتبين لك من يقول على صحة من [١٣١] الرأى . فعلى قدر محبة الوزير فيك ورغبته فى توجيه رياستك يكون رأيه لك . وإياك أن تؤخر أحداً منهم عن صاحبه ، وسَوِّ بينهم فى عطاياهم ومجالسهم وجميع أحوالهم ، فانه لم يكن سبب فساد الملك على قديم الزمان والأيام إلا لتفضيل بعض الوزراء على بعض . ولا تُراعِ الأسنانَ[3] إذا كان رأى الشباب فاضلا .

وأنا أقول يا إسكندر إن الرأى تابع للجسم . فاذا هرم الجسم هرم الرأى ، مع أن ذلك وقف على المواليد : فمولود يولد على طالع ما فلا يكون فى صناعته وعمله إلا على طبائع الكوكب الذى فى تدبير مولده ، وإن عرج به والده إلى غير تلك الصنائع صرفه الطبع الأعلى . وقد جرى مثل هذا لقوم من المنجمين اجتازوا على قرية فأضافهم رجل حائك . فأتاه فى تلك الليلة ولد ذَكَر . فأخذوا طالعه وعدلوا

---

(١) هنا نقص وتحريف فى كل من ص ، م ؛ فأصلحناه عن س الخ .

(٢) أو لعلها : الفطير . والفطير : كل ما أعجل عن إدراكه . يقال هذا رأى فطير — أى بديهى من غير روية .

(٣) ص : إلا شاباً إذا ... م : ولا تراع شاباً ، إذا ... والتصحيح عن س .

كواكبه فكان طالعه السنبلة، وعطارد فى الجوزاء فى بيتــه من المشترى، والنحوس غائبة. فدلهم مولده على أن المولود يكون عالماً لطيفاً إليه حسن الرأى يدبر أمر الملوك. فعجبوا من هــذا ولم يُعرِّفوا والده . فشب الغــلام ورام والده أن يكسبه شيئا من صناعته فأبت طباعه قبول شىء من ذلك ، فيوجعه ضرباً إلى أن أعيــاه ، فتركه لرأيه . فمال إلى أهل الأدب وتعــلَّم العلوم وحَفِظ التواريخ وعَرَفَ سياسات الملوك حتى صار وزيراً وظهر[1] أمره ونقل هذا عنه . — وضد هذا من عجائب تأثير طباع الكواكب ما جرى فى مولد ابن ملك الهند إذ أعطت نَصْبَةُ مولده أن يكون حداداً فستروا هذا عن الملك . فلما شب الولد [٣١ ب] رام الملك تعليمه العلوم[2] وسِيَر الهند وغير ذلك مما يليق بأبناء الملوك علمه. فلم تنزع به همته ولا قاده طبعه إلا على صناعة الحدّادين . فوجم لذلك الملك وجمع منجمى وقته فاتفق الكل على ما ذهب به طبعه إليه فكان كذلك . — إلى كثير[3] من مثل هذا وشبهه مما هو معلوم — . وإلى[4] ابن هذا الملك نسبت السيوف القاطعة الجيدة من سيوف الهنــد . وكانت حجته على من يعيره بهذا أنها عون لأبيه وذخيرة لا يقدر عليها أحد غيره .

يا إسكندر ! لا تحقــر[5] صغيراً من الرجال . ومن أحسست منه طلباً للعــلم واستقامة فى الطريقة والحلم وتجنباً للرذائل فاستكثر منــه ، ولا سيما إذا انضاف إلى هذه الأحوال عِزَّةُ نَفْسٍ وشرفُ أصلٍ وطلاقة لسان وحُسْن عبارة وبيان وعلم بأخبار المتقدمين من الأمم الماضية والأجيال الخالية والسير المأثورة — فاغتبط بمؤاخاته . فان انضاف إلى هذا حسن بداهة فى الرأى وكتم للسر ونزاهة نفس وثبات قلب مع اعتقاد صحيح لشريعتك وعمل بها ، فهذا الذى لايصلح للوزارة وتدبير الممالك سواه .

---

(١) وظهر أمره ... وضد : ناقص فى ى .

(٢) العلوم ... فلم تنزع به : ناقص فى ص .

(٣) إلى كثير .. يا إسكندر لاتقدم أمراً ولا تؤخره : ناقص فى ى .

(٤) وإلى ابن ... يا إسكندر : ناقص فى س . (٥) ق : ولا تحتقر .

يا إسكندر ! لاتقدم أمراً ولا تؤخره إلا بعد مشورة . فلم تزل الحكماء تقول : « المشورة عين الهداية » . وفى كتب الفرس أن ملكاً من ملوكهم استشار وزراءه فى سر عظيم كانت عليه أعمدة ملكه مُتوَرِّكة . فقال أحدهم : لاينبغى للملك أن يستشير منا واحداً فى مُهِمّ من أموره ومُعْضِل شؤونه إلا خالياً ، فانه أموت للسر وأحزم للرأى وأجدر بالسلامة وأعفى(١) لبعضنا من غائلة بعضٍ ، فان إفشاء السر [١٣٢] إلى واحد واحد أخلص لك وأتم وأكمل . وليس(٢) يجب أن يكون هذا فى كل الأمور ، بل يجب أن يكون هذا فى الندرة . ويجب إحضارهم والخوض معهم فى الدِّقّ والجلّ على صورة ما قدمناه قبل . فان بعض الفلاسفة المتقدمين قال : يزداد الملك الحازم برأى وزرائه كما يزداد البحر بمواده من الأنهار ، وإن كان البحر غنياً عن ذلك ؛ وينال بالحزم والرأى ما لاينال بالقُوَى والجُنُد . وفى كتاب بعض الفرس يوصى ابنه : « عليك بالمشورة فانك واحد من الرجال(٣) ، وشاور من يفصح من المشركين ، ولا تَدَعْ لك فى عدوِّك فرصةً إلا انتهزتها ، ولا لعدوك فيك فُرْضة(٤) إلا حصَّنْتها ؛ ولا تمنع شدةُ رأيك فى ظنك ، ولا علو مكانك فى نفسك من أن تجمع إلى رأيك رَأْىَ غيرك . فان وافق رأيُك رأىَ غيرك ازداد عندك شدة ؛ وإن خالف رأيَك عَرَضْتَه على نظرك . فان كان متغلباً على ما رأيت قَبِلْتَ ، وإن رأيته متضعاً عن رأيك استغنَيْتَ » .

---

(١) كذا فى س . وفى م : ، ص أمناً (لعلها : آمن) .

(٢) من هنا حتى آخر المقالة ناقص فى ى . ويأتى فى ى : وقال بهقم اليونانى : «يزداد الملك الحازم برأى وزرائه كما يزداد البحر بمواده من الأنهار ، وينال بالحزم والرأى مالا ينال العالم وراثة وتجربة ، فالتحفظ منه لازم وفيه واجب . واعلم يا إسكندر أن الحرب جسد وروح تقوم من ضدين يتغالبان : فروحها اعتقاد الظفر من كل واحد (وهذا سيأتى بعد فى ورقة ٣٥ ب مخطوط ص) .

(٣) من : ناقصة فى ص . وفى س : واحد فى الرجال . (٤) الفرضة : الثغرة .

يا إسكندر ! أشدُّ شيءٍ وآكده — عَلَيَّ أن أوصيك[١] به الآن : لاتستوزر أحداً فانه أمر يفسد عليك مُلْكَك ورعيتك وجندك ويدفع بفوائدك[٢] ويصرف الآمال عنك — إلى كثير مما يطول وصفه ويكثر شرحه. فان لم يتجه لك خمسة ترتضيهم على الشريطة المتقدمة فثلاثة ، ولولا الثالث لما كمل ثبات شيء ، فأقل ما تثبت عليه الأشياء ثلاثة ، وأوسطها خمسة ، وأكملها سبعة : فالسموات سبع ، والأرضون سبع ، والسيارة سبع ، والأيام سبعة ، ودوران القمر سبع ، وأيام المسرات سبع ، وأيام الأحزان سبع — إلى كثيرٍ غير هذا يطول شرحه وذكره .

ومما تجرِّبُ به وزيرَك أن تريه الحاجة إلى المال . فان [٣٢ ب] حملك على استخراج ما فى خزائنك وسَهَّلَ ذلك عليك فلا رأس مال له فيك . وإن حملك على أخذ أموال الناس فان هذا سَيِّءُ السياسة يُبَغِّضك إلى الكافة . وإن بادر إلى ما عنده وقال : إنَّ هذا[٣] ، وإن لم يف بمطلوبك عندى ، فخذه واستعِنْ به على أمرك — فهذا الذى أرتضيه لصحبتك وآمرك أن تستخلصه لنفسك . فيجب أن تشكر له صُنْعَه وتعلم أنه أراد هلاك نفسه فى طاعتك ، لأن المال محبَّبٌ إلى النفوس ولا يبذل الرجل ماله إلا لمن أحب قَلْبَه وآثره على نفسه .

وتجرِّبُ وزراءك أيضاً بالإفضال عليهم : فكل من رأيت حرصه على أخذ ذلك[٤] فلا خير لك فيه . فكل وزير يذهب إلى الكسب واقتناء المال فلا تعتدَّ به ، فانما خدمته لأجل المال لا لك ، فحب المال يذهب بعقول الرجال ، وهو من الخلاعات التى لادواء لها ، وهو مما لانهاية له ، وهو شيء جبلت النفوس على حبه ، وكلما كثر المال ازدادت الرغبة وكثر الحرص . وهذا مع الوزير سببٌ لفساد المملكة

---

(١) الآن : ناقصة فى س . وفى ص : أشد شيء وأوكده أن أعرضه عليك وأوصيك به الآن . وفى م : أشد شيء وآكده أن أوصيك به الآن . — أحداً : واحداً مفرداً .

(٢) س : جوائزك . (٣) ص : هذا وراء لم يف ... م : إن هذا فداء لم يف ...

(٤) م ، ص : ذلك يكثر فلا خير ...

من وجوه كثيرة، لأنه ربما حمله حبُّ المال على إتلافك[١] مع من يداخله فى ذلك.

وكذا[٢] يجب أن لا يخرج وزيرك عن حضرتك، وتفقد[٣] عليه أن لا يخاطب ملكاً من الملوك ولا يكاتبه ولا يقرأ له كتاباً. فاذا أحسست بشىء من ذلك فغيِّره غاية التغيير، فالنفوس سريعة التحول إلى ما تحال إليه قابلة إلى ما توعد به.

وأفضل[٤] الوزراء من يدين بحياتك وطاعتك ويسخط نفسه والعالم فى مرضاتك ويبيحك ماله وحياته[٥] [١٣٣] فى إرادتك ولا يرغب عنك فى شىء. ولا تظهر افتقارك إليه، وإن كنت إليه مفتقراً. ولا يتخلف عن بابك صباحاً ومساء. وتكون فيه هذه الخصال التى أنا ذاكرها إن شاء الله:

أولها: أن تكون أعضاؤه مؤاتية[٦] على الأعمال التى من شأنها أن يكون بها ومنها؛

الثانى: جودة الفهم وسرعة التصور لكل ما يقال؛

الثالث: أن يكون جيِّد الفهم والحفظ لما يسمعه ويحفظه حتى لا يكاد ينساه أبداً؛

الرابع: أن يكون فطِناً، إذا رأى على الأمر أقل دليل فطَن به على الجهة التى قُصِد به؛

الخامس: أن يكون حسن العبارة يوافقه[٧] لسانه على ما فى قلبه وضميره بأوجز الألفاظ؛

السادس: أن يكون نافذاً[٨] فى كل علم، لا سيّما علم الحساب، فهو العلم الحقيقى البرهانى الذى يحذق الطبع؛

السابع: أن يكون صادق القول محباً له، مجانباً للكذب مُبْغِضاً له، وفيّاً[٩] حسن المعاملة والخلق، لين[١٠] الجانب سهل اللقاء.

---

(١) ص: إتلاف. (٢) ص، س، م: وهذا. (٣) س: وتعتقد. م: وتعقد.

(٤) هذا الموضع ورد فى ى ورقة ١٩٥ ا ضمن «المقالة السابعة فى سياسة الحروب» وهو خلط.

(٥) كذا فى م. وفى ص: وحاله. وفى س: ورجاله. (٦) م: متواتية. س: أن يكون تام الأعضاء مواتية... (٧) ن: يواتيه لسانه على ما فى قلبه بأوجز الألفاظ.

(٨) ق: ثاقباً. (٩) ص: وفيه. (١٠) ص: ولين.

الثامن : أن يكون غيرَ شَرِه فى الأكل والشرب والنكاح ، مُقَلِّلاً منهما ، متجنباً اللعب واللذات ؛

التاسع : أن يكون كبير النفس عالى الهمة محباً للكرامة ؛

العاشر : أن تكون[(١)] الدنانير والدراهم وسائر أعراض الدنيا هَيِّنة عليه ، ولا تكون همته إلا فيما يقيم جاه رئيسه ويحببه إلى القريب والبعيد ؛

الحادى عشر : أن يكون محباً للعدل وأهله ، مبغضاً للجور والظلم ، يعطى النَّصفة لأهلها ويرثى لمن حل به الجور ويمنع منه ، ولا يمنعه من ذلك مطابقة [٣٣ ب] أحد من خلق الله تعالى ؛

الثانى عشر : أن يكون قوى العزيمة على الشىء الذى يرى أنه ينبغى أن يفعل ، جسوراً غير خائف ولا ضعيف النفس ؛

الثالث عشر : أن يكون عالماً بخدمة جميع خراجاتك كلها ، لا يخفى عليه وجه[(٢)] من وجوه مصالحك ، ولا تشتكى رعيتك إليه إلَّا عَلِمَ وَجْهَ تشكيها ومداواتها ؛

الرابع عشر : أن لا يكون كثير الكلام مهذاراً كثير الضحك والمزاح ، مُعْرِضاً عن الناس مستخفاً بهم ؛

الخامس عشر : أن يكون ممن لا يشرب الخمر ، وَدارُه موطِنَ للصادر والوارد ، مصغياً إلى أخبار جميع[(٣)] الناس ، مسدداً لهم ، مصلحاً لأمورهم ، مؤنساً لوحشتهم ، صابراً على تحاملهم .

واعلم[(٤)] يا إسكندر أنه ما خلق الله سبحانه وتعالى أشرف من ابن آدم ، ولا جمع فى حيوان ما جمع فيه ، ولا فى شىء من الحيوانات خصلة مطبوعة عليه إلا وكلها موجودة فى الإنسان : فهو شجاع كالأسد ، جبان كالأرنب ، سخى كالديك ،

---

(١) ص : أن يكون كبير النفس وتكون الدنانير ...

(٢) كذا فى س . وفى ص ، م : وجه تشكيها ومداراتها .

(٣) م : الناس جميعاً .

(٤) هذه الفقرة حتى آخر المقالة ناقص فى ص ؛ وتأتى فى ى ورقة ٩٦ ب وما بعدها . وفى ق ورقة ٥٣ ب وما يتلوها الخ .

حذر كالغراب ، وحشى كالنمر ، أنيس كالحمام ، خبيث كالثعلب ، سليم كالغنم . سريع كالغزال ، بطىء كالدب ، عزيز كالفيل ، ذليل كالحمار ، لص كالعقعق ، تياه كالطاووس ، هاد كالقطا ، ضال كالنعام ، ساهر كالنحل ، شرود كالتيس ، كدود كالثور ، شموس[1] كالبغل ، أخرس كالحوت ، منطقى كالهزار[2] ، خمول كالخنزير ، مشؤوم[3] كالبوم ، مدّخر[4] كالنمل ، حقود كالجمل ، نؤوم كالفهد ، حفوظ كالكلب ، خائن كالهر ، قتّال كالحية ، مُضِرّ كالعقرب ، نفّاع كالفرس ، مؤذٍ كالفار .

وبالجملة ، يا إسكندر ، فما من حيوان ولا نبات ولا معدن ولا فلك ولا كوكب ولا موجود من الموجودات له خاصية إلا وتلك الخاصية توجد فى الإنسان . ولهذا سموه عالماً صغيرا .

ولا تشاور فى أمرك يا إسكندر ولا تستوزر من ليس من الإلهيين المعتقدين الربوبية[5] ، ولا تثق من الإلهيين إلا بمن يدين بناموسك ويعتقد شريعتك . واحذر أن يعتريك ما اعترى الرجلين اللذين ذُكِرَ أنهما اصطحبا فى طريق ، أحدهما مجوسى والآخر يهودى[6] . وكان المجوسى راكباً على بغلة قد ربّاها على خلقة وعليها كل ما يحتاج إليه المسافر . واليهودى راجِلٌ ليس معه زاد ولا أثاث . فبينما هما يتحدثان ، إذ قال المجوسى لليهودى : ما مذهبك وما اعتقادك ؟ فقال اليهودى : أعتقد أن فى السماء إلهاً وأنا أعبده ، وأريد منه الخير لنفسى ولمن يوافقنى فى دينى ومذهبى .

---

(١) م : متمرص . (٢) س : كالصرار .

(٣) م : مسرف . (٤) مدخر ... نفاع : ناقصة فى س .

(٥) هذه العبارة محرفة فى م هكذا : ولا تشارك فى أمرك يا إسكندر من الإلهيين (!) ولا من لم تختبر دينه وأمانته إلا من يدين ...

(٦) هذه القصة يظهر أنها من وضع شعوبى يفضل المجوسية على الأديان السماوية أو على اليهودية على الأقل ؛ مما يكشف عن أصلها . وهى قطعا مما أضيف إلى « أصل » الكتاب ، بيد أنها توجد فى الترجمة اللاتينية : إذ توجد فى نشرة استيل Steele ص ١٤٤ — ١٤٧ ؛ وفى مخطوط باريس اللاتينى رقم ٦٥٨٤ (من القرن ١٣) ورقة ٢٧ ، ومخطوط المتحف البريطانى رقم IA. 10756 فصل ٦٨ .

وأعتقد أن من يخالفنى فى دينى ومذهبى حَلالٌ دمه وماله وعِرْضُــه وأهله وولده ، وحرام علىّ نُصْرته ومذهبــه ونصيحته ومعاونته والرحمة له والشفقة عليــه . — ثم قال اليهودى للمجوسى : قد أخبرتك بمذهبى واعتقادى ، فخبرنى أنت عن مذهبــك واعتقادك ؟

فقال المجوسى : أما اعتقادى ودينى فهو أنى أريد الخير لنفسى ولأبناء جنسى ، ولا أريد لأحد من خلق الله شراً : لا لمن هو على دينى ولا لمن خالفنى . وأعتقــد الرفق بكل حيوان ولا أرى شيئاً من الجور ، وأرى أن ما يصل إلى الحيوان كله من الآلام يؤلمنى ويؤثر فى نفسى ، وأود أن الخــير والعافية والصحة والمسرة تصــل إلى جميع الناس كافة .

فقال له اليهودى : وإن ظُلِمْتَ وتُعُدِّى عليك ؟

فقال له المجوسى : أعلم أن فى السماء إلهاً خبــيراً عادلا حكيما ، وهو يجــازى المحسنين بـإحسانهم ويكافىء المسيئين باساءتهم .

فقال له اليهودى : ما أراك تنصر مذهبك ولا تحقق اعتقادك .

فقال المجوسى : وكيف ذلك ؟

قال : لأنى من أبناء جنســك وأنت ترى أنى أمشى راجلا تعباً جائعــاً وأنت راكب شبعان مرفه .

قال : صدقت — فنزل المجوسى عن بغلتــه وفتح سُفْرته وأطعمه وسقاه . ثم أركبه البغلة .

فلما تمكن اليهودى من الركوب واطمأن[1] غمز البغلة وهمز بها بعَقِبــه وحرَّك عليها ومضى وترك المجوسى . فجعل المجوسى يصيح : ويحــك ! ارفق بى لئلا أُهْلِكَ فى هــذه المفازة وأموت جوعاً وعطشاً — واليهودى يقول له : أليس قد أخــبرتك عن

---

(١) ناقصة فى س . س : أدخل الهمز إلى البغلة .

مذهبى ؟ وجعل يُحرِّك البغلة ويزيد فى سَوْقها ، والمجوسى فى أثره وهو لا يلتفت إليه ولا يحنو عليه ولا يعبأ بكلامه حتى غاب عن نظره .

فلما أيِس المجوسى منه ذكر تمام اعتقاده وما وصف له بأن فى السماء إلهاً عادلا لا تخفى عليه خافية من أمر خلقه . فرفع رأسه إلى السماء وقال : يا إلهى ! قد علمت أنى قد اعتقدتُ مذهباً ونصرته ووصفتُك بما سمعتَ ، فَحقِّقْ عند اليهودى ما وصفتُك به .

فما سار المجوسى إلا قليلا حتى رأى اليهودىَّ قد رمَتْ به البغلةُ فاندقت ساقه وعنقه ، والبغلة واقفة بالبعد منه . فلما تحقق المجوسى أمره ولحق به ، تكلم فميزته البغلة وحنت إليه لما عَهِدَتْه من رفقه بها . فركبها ومضى لسبيله وترك اليهودى يقاسى الجهد ويعالج الموت . فناداه اليهودى : ويحك يا مجوسى ! أنا الآن أولى بالرحمة منى قبلُ ؛ وأنا الآن بُضْعَةٌ ملقاة فارحمنى وانصر مذهبك الذى قد نصرك وأظفرك ! — فجعل المجوسى يعاتبه . فقال : لا تعاتبنى على شىء أعلمتك أنه ديانتى ومُعْتَقَدى ومذهبٌ نشأتُ عليه ووجدت آبائى وأشياخى يعتقدونه . — فرحمه المجوسى وحمله حتى جاء به إلى المدينة ودفعه إلى أهله مكسوراً . ثم إن اليهودى مات بعد أيام يسيرة . ثم إن ملك تلك المدينة سمع بالمجوسى فاستقربه وأدناه ورفعه ، لما رأى من كثرة عقله وعلمه واعتقاده لمذهبه وحسن سيرته ، واستوزره .

فتأمل كيف جازى الله — عز وجل — المجوسى بجميل اعتقاده وحُسْن مذهبه . والله تعالى يجازى كُلاًّ بمذهبه ، ويقارض كلَّ امرئ على صنعه : إما فى دنياه ، وإما فى آخرته ، فهو الحَكَم العدل الذى لا يجور .

يا إسكندر ! (١) أعظم ما أوصيك به وأحذرك منه ألا تستوزر أحداً من قرابتك ولا تثق إليهم بشىء من أعمالك ، وأن تتحفظ منهم كتحفظك من الأفاعى

(١) هذه الفقرة وردت فى هامش س . .

الهندية التى تقتل بالنظر. وكلما قَرُبَتْ قَرَابتُهم كانت أشد عليك ، فان سائرهم إنما يحسدونك فى مالك ، وقرابتك إنما يحسدونك فى جميع حالاتك ، ولا يقنعهم منك إلا روحك . وهذا يا إسكندر لازم فى الطبيعة ، ثابت فى الجِبِلَّة ، وقد أبرزَتْه التجربةُ على قِدَم الأيام إلى التحقيق . وكان فى أصل الخلقة من حسد ابن آدم قابيل أخاه هابيل حتى قتله . والله وَلِىُّ كَفالَتك .